مجلة المنهل ـ المجلد: 08، العدد: 01 (2022 م) ـ ص ص 77 – 96
ISSN : 2437 – 1068 • EISSN 8392-2710

بلاغة الإقناع بضرب الأمثال
ـ دراسة لنماذج مختارة من القرآن الكريم ـ

Rhetoric of persuasion by proverbs
- a study of selected models from the Holy Qur'an –

د. عبد الكريم حاقة (*)
مخبر إسهامات علماء الجزائر في إثراء العلوم الإسلامية
جامعة الوادي (الجزائر)
ahaga66@gmail.com

تاريخ الاستلام:	تاريخ القبول:	تاريخ النشر:
2021/08/16	2022/01/10	2022/06/13

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

ملخص:

لقد حظيت الأمثال القرآنية بدراسات كثيرة اقتصرت على الجانب الجمالي البياني، وفي هذه الورقة البحثية المعنونة بـ : " بلاغة الإقناع بضرب الأمثال . دراسة لنماذج مختارة من القرآن الكريم" نحاول تسليط الضوء على الجانب الحجاجي الإقناعي من ضرب الأمثال القرآنية، إذ من غير شك أن مقصدية الخطاب القرآني لا تتوقف عند الجانب الجمالي للأمثال، ولكنها تتعداه إلى الجانب التواصلي، فالقرآن الكريم رسالة موجهة إلى المخاطبين بغية إقناعهم بالحق والخير الذي نزل القرآن لتجسيده واقعا ملموسا، وقد تناول البحث في جانبه النظري التعريف بالإقناع والمثل كما بين أن القرآن الكريم هو كتاب إقناع لا كتاب إكراه، وفي الجانب التطبيقي تناول البحث نماذج مختارة من الأمثال وبين الجوانب الإقناعية فيها، وقد خلص البحث إلى أن الأمثال القرآنية لا يراد منها جمالها اللغوي فقط وإنما هي مسوقة لإقناع المخاطبين.

الكلمات المفتاحية:

الأمثال؛ البلاغة الجديدة؛ الحجاج ؛ الإقناع؛ التواصل؛ مقصدية الخطاب .

Abstract:

The Qur’anic proverbs have received many studies that were limited to the aesthetic aspect. And in this research paper entitled: " Rhetoric of persuasion by Proverbs - A Study of Selected Models from the Holy Qur'an", We try to shed light on the persuasive argumentative aspect of quoting Qur’anic proverbs, Undoubtedly, the intent of the Qur’anic discourse does not stop at the aesthetic aspect of proverbs, but goes beyond it to the communicative aspect, The Holy Qur’an is a message addressed to the addressees in order to convince them of the truth and the good that the Qur’an was revealed to embody as a tangible reality, In its theoretical aspect, the research dealt with the definition of persuasion and proverb, as it showed that the Noble Qur’an is a book of persuasion, not a book of compulsion, On the

(*) المؤلف المراسل.

practical side, the research dealt with selected examples of proverbs and the persuasive aspects in them. The research concluded that Quranic proverbs are not intended for their linguistic beauty only, but are marketed to convince the addressees.

Keywords:
proverb ; the new rhetoric; argumentation; persuasion: communication; intentionality of speech .

1ـ مقدمة:

القرآن الكريم كتاب يخاطب العقل والوجدان، ويدعو إلى التفكر والتدبر، وهو إذ يخاطب العقل يستعمل وسائل متنوعة لإقناع المخاطبين بما يدعو إليه، كما يدعو معتنقيه إلى استعمال شتى الوسائل لإقناع الآخرين، لأن الإقناع هو السبيل الأمثل الذي تنتج عنه – إذا حصل الاقتناع – استجابة صحيحة سليمة، أما الإكراه فلا تنتج عنه استجابة صحيحة، بل ينتج عنه تمويه وخداع ومواربة، ولقد كان من وسائل القرآن الكريم في الإقناع الوسائل اللغوية، كالحوار، وضرب الأمثال، والقصص، وغيرها.

وقد ارتأيت أن أتناول في هذه الورقة البحثية وسيلة من وسائل الإقناع اللغوي في القرآن الكريم وهي ضرب الأمثال، فضرب المثل درس في إطار ما يسمى بالبلاغة الجمالية، وهي التي تبحث في أسرار الجمال اللغوي، أما في مجال البلاغة الخطابية الإقناعية فالدراسات عموما ما تزال نادرة، وعلى الخصوص دراسة الجانب الإقناعي للمثل، لذلك كان عنوان هذه الورقة: "**بلاغة الإقناع بضرب الأمثال . دراسة لنماذج مختارة من القرآن الكريم**"، وقد حاولت الإجابة فيها عن إشكال أراه مهما وهو: لأية غاية ضربت الأمثال في القرآن الكريم؟ وهل يكفي المبرر الجمالي لضرب الأمثال؟ أم أن مقصدية الخطاب في ضرب المثل قد تعدت الجوانب الجمالية إلى غايات خطابية إقناعية؟ وما أثر ضرب المثل في التاثير على المتلقين المخاطبين؟

وتكمن أهمية البحث في هذا الموضوع من كونه يتناول إحدى الظواهر البلاغية التي سبق علاجها بيانيا، ولكنها لم تحظ بالقدر اللازم من البحث من الناحية الخطابية الإقناعية، كما أنها دراسة في البلاغة القرآنية من منظور البلاغة الجديدة، حيث هي فرصة للباحث كي يغوص بعض الغوص في معين القرآن الذي لا يدركه نضوب.

والباحث إذ يخوض في هذا الموضوع تحدوه رغبة ملحة في خدمة الكتاب العزيز من ناحية، ومن ناحية أخرى يدفعه حافز السؤال الملح عن الغاية من ضرب المثل في القرآن الكريم. والبحث يتوخى الوقوف على أهمية الأمثال المضروبة في القرآن الكريم، ومدى نجاعتها في توجيه قناعات المخاطبين.

ولأجل السير المنهجي في دروب هذا البحث اتخذت من المنهج الوصفي التحليلي سبيلا، حيث أقوم بوصف المثل المضروب وتحليله ومن ثم تبيين الجوانب الإقناعية فيه، وذلك في خطة ابتدأتها بمقدمة

أوضحت فيها الإشكال المطروح وأهمية البحث في هذا الموضوع والدوافع والحوافز الذاتية والموضوعية، كم بينت المنهج المتبع وخطة البحث والمصادر المهمة التي كانت المادة الخام التي صيغ منها هذا البحث، ثم تلتها جملة من المباحث كان أولها الجانب النظري الذي تناولت فيه التعريف بالإقناع لغة واصطلاحا، ثم عرفت المثل كذلك لغة واصطلاحا، ثم تكلمت عن الأمثال في القرآن الكريم، ثم عرجت على الإقناع في القرآن الكريم لأدلف منه إلى الإقناع بالمثل في القرآن الكريم وهو الجانب التطبيقي الذي تناولت فيه مجموعة من الأمثال المضروبة اخترتها وفقا للموضوعات المتنوعة، ودرستها من الناحية الإقناعية.

ولقد كان من المصادر التي اعتمدت عليها في هذه الورقة مصادر من كتب التفسير كتفسير ابن كثير وتفسير الخازن وتفسير الرازي وتفسير ابن عاشور وتفسير الزحيلي وغيرها، كما اعتمدت على مراجع حديثة من الكتب التي تناولت الإقناع مثل كتاب في بلاغة الخطاب الإقناعي لمحمد العمري، وكتاب استراتيجيات الخطاب لعبد الهادي بن ظافر الشهري، إضافة إلى كتب أخرى ومعاجم لغوية واصطلاحية.

وفي الأخير أرجو أن أكون قد وفقت في هذه الدراسة، وأن تكون إسهاما في الدراسات الجادة التي تسعى إلى خدمة القرآن العظيم.

2 ـ تعريف الإقناع لغة واصطلاحا:

2 ـ 1 ـ تعريف الإقناع لغة:

قال ابن فارس : " الإقناع الإقبال بالوجه على الشيء ، يقال : أقنع له يقنع إقناعا. والإقناع مد اليد عند الدعاء ، وسمي بذلك عند إقباله على الجهة التي يمد يده إليها. والإقناع إمالة الإناء للماء المنحدر ... ويقولون : قنع قناعة إذا رضي . وسميت قناعة لأنه يقبل على الشيء الذي له راضيا . والإقناع : مد البعير رأسه إلى الماء ليشرب " (بن فارس، 1979).

وفي المعجم الوسيط : " اقتنع بالفكرة أو الرأي : قبله واطمأن به " (مجمع اللغة العربية بالقاهرة، 2004).

مما سبق ذكره يتضح أن الإقناع في اللغة يدور على معاني الإقبال والميل والرضا والقبول والاطمئنان.

2 ـ 2 ـ تعريف الإقناع اصطلاحا :

جاء في القاموس العربي الأول لمصطلحات علوم التفكير في مادة (إقناع) ما يأتي : " هو عرض وجهة النظر بأسلوب منطقي أو أسلوب عاطفي يؤثر في الأشخاص المستمعين أو المستهدفين ، والإقناع

هو العرض الشفهي لوجهة النظر أمام الآخرين من أجل نقل الأفكار والمعلومات " (العوفي و علوي، 2010).

وجاء في كتاب (فن الخطابة والإلقاء) : " الإقناع يعني غرس القناعة في نفوس من تحدثهم " (نعيم، 2010).

ويقول محمد أبو زهرة : " مرمى الخطاب الإقناعي ليس هو الإلزام والإفحام فقط بل مرماه حمل المخاطب على الإذعان والتسليم وإثارة عاطفته " (أبو زهرة، 1934).

وفي معجم تحليل الخطاب : " يمكن النظر إلى الإقناع باعتباره ناتج مسارات التأثير " (شلرودو و منغنو، 2008). ويقول في موضع آخر: " والإقناع أثر الفعل بالقول " (شلرودو و منغنو، 2008).

ويقول محمد العمري : " إن دراسة الخطاب الإقناعي دراسة شعرية لا تعدم الشرعية بصفة مطلقة، ولكنها تقف عند عنصر واحد من عناصر التأثير والإقناع التي يلجأ إليها الخطيب " (العمري، 2002).

وجاء في كتاب (نظريات في أساليب الإقناع) : " يشكل الإقناع ركيزة مهمة من ركائز العمل الإعلامي الذي يهدف إلى التأثير في تكوين الرأي العام وتغيير المعتقد والموقف والسلوك " (رزق، 1994).

ويقول عبد الهادي بن ظافر الشهري : " فمن الأهداف التي يرمي المرسل إلى تحقيقها من خلال خطابه إقناع المرسل إليه بما يراه ، أي إحداث تغيير في الموقف الفكري أو العاطفي لديه " (الشهري، 2004).

فالإقناع إذن هو مقصدية خطابية تتوجه من المرسل المنشئ للخطاب إلى المتلقي المستقبل لهذا الخطاب بهدف التأثير عليه وحمله على تبني رأي أو فكرة ما، أو تغيير رأي أو فكرة ما، فالمرسل في حاجة إلى تزويد خطابه بآليات واستراتيجيات خطابية تجعل منه خطابا مؤثرا ومقنعا، وكلما كان المتلقي متمسكا بفكرته ورأيه أكثر كلما زادت الحاجة إلى استراتيجيات وآليات إقناعية أكثر، وهذا ما تناوله علماؤنا البلاغيون في باب أضرب الخبر، حيث بينوا أن المرسل يزود خطابه بوسائل الإقناع بحسب حال المتلقي، فإذا كان الأخير خالي الذهن من مضمون الخطاب ألقي إليه الخطاب ساذجا، أما إذا كان مترددا احتاج المرسل إلى تزويد خطابه ببعض المؤكدات، وكلما ازدادت قوة الإنكار لديه احتاج المرسل إلى أدوات توكيد أكثر على قاعدة لكل مقام مقال يناسبه (العاكوب، 2000).

3 ـ تعريف المثل لغة واصطلاحا:

3 ـ 1 ـ تعريف المثل لغة:

جاء في لسان العرب: " المثل: الشيء الذي يضرب لشيء مثلا فيجعل مثله ... ويقال: تمثل فلان ضرب مثلا، وفي التنزيل العزيز: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ**﴾ [الحج:73] ... وقد يكون المثل بمعنى العبرة؛ ومنه قوله عز وجل: ﴿ **فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ** ﴾[الزخرف:56] ، فمعنى السلف أنا جعلناهم متقدمين يتعظ بهم الغابرون، ومعنى قوله ومثلا أي عبرة يعتبر المتأخرون. ويكون المثل بمعنى الآية، قال الله عز وجل في صفة عيسى على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام: ﴿ **وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ**﴾ [الزخرف:59] أي آية تدل على نبوته" (بن منظور).

وفي كتاب مفردات القرآن للراغب الأصفهاني: " والمثل عبارة عن قول في شيء يشبه قولا في شيء آخر بينهما مشابهة ليبين أحدهما الآخر، ويصوره، نحو قولهم: الصيف ضيعت اللبن، فإن هذا القول يشبه قولك: أهملت وقت الإمكان أمرك" (الراغب).

3 ـ 2 ـ تعريف المثل واصطلاحا:

جاء في كتاب المعجم الأدبي تعريف المثل بأنه: " جملة من القول مقتطعة من كلام أو مرسلة لذاتها، تنقل ممن وردت فيه إلى مشابهه بلا تغيير" (عبد النور، 1984)، ويعرّف المثل أيضا بأنه: " عبارة موجزة يتداولها الناس تتضمن فكرة حكيمة في مجال الحياة البشرية وتقلباتها. وتصاغ عادة بأسلوب مجازي يستميل الخيال ويسهل حفظه، مثال ذلك: المورد العذب كثير الزحام" (وهبة و المهندس، 1984).

4 ـ الأمثال في القرآن الكريم:

ضرب الله تعالى الأمثال في القرآن الكريم لما لها من أثر في توضيح المراد، وتقريب الغائب، وتشبيه الخفي بالجلي (بن الفضل، 1992). والأمثال في القرآن الكريم لون من ألوان الهداية الإلهية تغري النفوس على الخير، أو تحضها على البر، أو تمنعها من الإثم أو تدفعها إلى فضيلة، أو تدفع عنها شائبة أو تمنع نقيصة. ومن أجل هذا تناولت الأمثال القرآنية مجالات عدة مثل الإيمان والكفر والنفاق، وحثت على الإنفاق في سبيل الله، ودعت إلى الخير ونفرت من الشر، وصورت الصالح والطالح (بن الشريف). قال الزركشي: " وضرب الأمثال في القرآن يستفاد منه أمور كثيرة: التذكير والوعظ والحث والزجر والاعتبار، والتقرير وتقريب المراد للعقل، وتصويره في صورة المحسوس بحيث يكون نسبته للعقل كنسبة

المحسوس إلى الحس. وتأتي أمثال القرآن مشتملة على بيان تفاوت الأجر وعلى المدح والذم، وعلى الثواب والعقاب، وعلى تفخيم الأمر أو تحقيره، وعلى تحقيق أمر وإبطال أمر، قال تعالى: ﴿ **وَضَرَبْنَا لَكُمُ الأَمْثَالَ** ﴾ [إبراهيم: 45]، فامتن علينا بذلك لما تضمنت هذه الفوائد، وقال تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ** ﴾ [الروم: 58]، وقال: ﴿ **وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ** ﴾ [العنكبوت: 43]" (الزركشي، 2006).

5 ـ الإقناع في القرآن الكريم:

القرآن الكريم كتاب يخاطب العقل البشري ويدعوه إلى التفكير، ليصل إلى القناعة، ويصبح قادرا على التمييز والمقايسة والاستنتاج والمقارنة، قال الله تعالى: ﴿ **قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا** ﴾[الزخرف:56]، فالقناعة تأتي ثمرة للدليل والبرهان المتولد من النظر، فالقرآن الكريم كان سببا في استنفار العقل، وتشغيل الحواس، وتحريك القوى الفاعلة في الإنسان، وتفجير الطاقات الكامنة فيه، وبناء القناعة العقلية، والوصول إلى الصواب (مصطفى، 2003).

فالقرآن الكريم " له منهج رشيد في خطاب المدعوين، فالله عز وجل هو خالقهم، وهو أعلم بهم من أنفسهم، فخاطب كل صنف منهم بما يناسبه من التأثير والانفعال النفسي وإثارة الوجدان وتحريك العواطف حتى ينتج عن ذلك الاستجابة إلى ما يدعون إليه" (مصطفى، 2003).

ويعد القرآن الكريم رسالة إقناعية خاطبت البشر من خلال استراتيجيات محددة وأساليب إقناعية معروفة (مصطفى، 2003)، ولأنه رسالة إقناعية فلا مجال للإكراه فيه، قال تعالى: ﴿**لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ**﴾[البقرة:256]، جاء في تفسير الزحيلي . رحمه الله .: " لا تكرهوا أحدا على الدخول في الإسلام، فإن دلائل صحته لا تحتاج بعدها إلى إكراه، ولأن الإيمان يقوم على الاقتناع والحجة والبرهان، فلا يفيد فيه الإلجاء أو القسر أو الإلزام والإكراه" (الزحيلي، 2009). وقال الشيخ محمد أبو زهرة . رحمه الله . : " ... الإكراه في الدين لا يتأتى؛ لأن التدين إدراك فكري، وإذعان قلبي، واتجاه بالنفس والجوارح بإرادة مختارة حرة إلى الله سبحانه وتعالى، وتلك معان لا يتصور فيها الإكراه؛ إذ الإكراه حمل الشخص على ما يكره بقوة ملجئة حاملة، مفسدة للإرادة الحرة، ومزيلة للاختيار الكامل؛ فلا يكون إيمان ولا تدين، إذ لا يكون إذعان قلبي، ولا اتجاه حر مختار بالنفس والجوارح إلى الله رب العالمين" (أبو زهرة، زهرة التفاسير).

القرآن الكريم كتاب إقناع لا كتاب إكراه، فهو يخاطب في الإنسان مداركه العاقلة، حتى إذا استجاب إلى دعوته كانت استجابته عن اقتناع فكري وإذعان قلبي، أما الإكراه فإنه لا يحمل المكره على الاقتناع

والإذعان، ولو حمل الناس على الإسلام قسرا لكان ذلك سببا لفشو النفاق، وهذا ما لا يرضاه الله تعالى لعباده، ولذلك قال في موضع آخر من القرآن الكريم : ﴿ **أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ** ﴾[يونس:99]، والاستفهام بمعنى النفي، أي ليس لك أن تكره الناس على أن يكونوا مؤمنين، وقد قرر الله تعالى لهم الاختيار (أبو زهرة، زهرة التفاسير)، بل دعا القرآن الكريم إلى مجادلتهم بالتي هي أحسن لبيان الحق لمن التبس عليه الأمر فقال الله تعالى: ﴿ **ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** ﴾[النحل:125]، والمقصود بالحكمة كما قال أبو السعود . رحمه الله . : " المقالة المحكمة الصحيحة وهو الدليل الموضح للحق المزيح للشبهة" (أبو السعود)، أما الموعظة الحسنة فهي الخطابيات المقنعة والعبر النافعة، وأما قوله تعالى: ﴿ **وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** ﴾ فالمقصود الطريقة التي هي أحسن طرق المناظرة والمجادلة من الرفق واللين واختيار الوجه الأيسر واستعمال المقدمات المشهورة (أبو السعود)، وفي تفسير الشوكاني أن الحكمة هي الحجج القطعية المفيدة لليقين، والموعظة الحسنة هي الحجج الظنية الإقناعية الموجبة للتصديق بمقدمات مقبولة (الشوكاني، 2007).

وعلى هذا يتقرر أن منهج القرآن الكريم منهج إقناعي لا يتصل بالإكراه من أي وجه، إذ لا فائدة ترجى من مكره غير مقتنع، فالإنسان تحركه بواعث من داخل نفسه، وتلك البواعث لا يوجدها قسر ولا إكراه، ولكن يوجدها الاقتناع العقلي والقلبي، وهذا لا يكون بدوره إلا باتباع استراتيجيات معينة تسعى لإقناع المخاطب وتوجيهه نحو الحق والخير.

6 ـ الإقناع بالمثل القرآني:

الإقناع من بين الأغراض الهامة التي ضربت الأمثال في القرآن لتحقيقها؛ يقول الله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ** ﴾ [الزمر : 27]. قال القاسمي:" أي بينا لهم في هذا القرآن ، الذي هو دليل في نفسه على إعجازه ، من كل مثل يحتاج إليه من يستدل بنظره على حقيقته وأحقيته" (القاسمي، 1957). ومعنى التذكر: التأمل والتدبر لينكشف لهم ما هم غافلون عنه سواء ما سبق لهم به علم فنسوه وشغلوا عنه، وما لم يسبق لهم به علم مما شأنه أن يستبصره الرأي الأصيل (بن عاشور، 1984). فالمثل مسوق في القرآن الكريم من أجل التدبر والتأمل والتذكر، وهي عمليات عقلية تقود من أحسن استعمالها بصدق وإخلاص وتجرد إلى معرفة الحق واتباعه.

ويقول الله تعالى: ﴿ **وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ** ﴾ [العنكبوت: 43]، يقول الزحيلي . رحمه الله . في تفسيره لهذه الآية الكريمة:" إن ضرب الأمثال أي بيانها وعقد المقارنة بين المتشابهات أمر مفيد للناس، لمعرفة حقائق الأمور، ولكن لا يفهم تلك الأمثال إلا العالمون بالله تعالى"

(الزحيلي، التفسير المنير)؛ فالأمثال مضروبة لكي يعقلها العالمون، وهذا يدل على أن هذه الأمثال موجهة للعقول، فهي حجج وبراهين عقلية مسوقة لإقناع المخاطبين.

وقد ذكر الميداني لضرب الأمثال القرآنية ثمانية أغراض وقال في الغرض الثاني :" الإقناع بفكرة من الأفكار، وهذا الإقناع قد يصل مستوى إقامة الحجة البرهانية، وقد يقتصر على مستوى إقامة الحجة الخطابية، وقد يقتصر على لفت النظر إلى الحقيقة عن طريق صورة مشابهة" (الميداني، 1992) والمقصود بالحجة البرهانية هي الحجة الملزمة التي تفيد اليقين. أما الحجة الخطابية فهي حجة إقناعية ظنية تفيد الظن الراجح. ولفت النظر يكفي فيه إيراد المثل المشابه ولو لم يشتمل على أية حجة (الميداني ع.). وفي هذا المبحث سأتناول بإذن الله تعالى نماذج مختارة من الأمثال المضروبة في القرآن الكريم محاولا تسليط الضوء على عناصرها الإقناعية، وسأجتهد أن يكون الاختيار متنوعا حسب موضوعات الأمثل المضروبة.

6 ـ 1 ـ مثل تخبط المنافق وحيرته:

المنافق هو الذي يظهر الإيمان ويبطن الكفر، وقد عرف الأصفهاني النفاق بقوله:" هو الدخول في الشرع من باب والخروج عنه من باب" (الراغب ا.). وعرف المعجم الوسيط المنافق بأنه من يظهر الإيمان ويبطن الكفر، ومن يضمر العداوة ويظهر الصداقة، وهو أيضا من يظهر خلاف ما يبطن (مجمع اللغة العربية). وفي بداية سورة البقرة ضرب الله مثلين لحال المنافقين في تخطبهم وحيرتهم فقال: ﴿ **مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُونَ * صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ * أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاء فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ واللهُ مُحِيطٌ بِالْكافِرِينَ * يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاء لَهُم مَّشَوْاْ فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُواْ وَلَوْ شَاء اللهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾ [البقرة: 17 . 20].

اشتملت هذه الآيات على مثلين للمنافقين، وكل مثل موجه إلى صنف من المنافقين: فالأول منهما للصنف الذي مرد على النفاق فهو كافر ضمنا دون تردد، متظاهر بالإسلام كذبا وزورا. والثاني للصنف المذبذب بين الإيمان والكفر وإن كان إلى الكفر أقرب، وهذا الصنف لم تنطمس بصيرته تماما، بل يتراءى له نور الحق فيسير فيه قليلا، ثم يعود إلى حالته الأولى (الميداني ع.، الأمثال القرآنية دراسة وتحليل، 1980).

وفي تفسير الزحيلي . رحمه الله . أن الله تعالى ضرب في هذه الآيات مثلين لتوضيح حال المنافقين وبيان شناعة أعمالهم وسوء أفعالهم، تنكيلا بهم، وفضحا لأمورهم، إذ كانوا فتنة للبشر، ومرضا في الأمة. وهذان المثلان يصوران حالة القلق والحيرة والاضطراب عند المنافقين وسرعة انكشاف أمرهم (الزحيلي، التفسير المنير). ثم يردف مبينا ذلك:

فالمثل الأول لسرعة انكشاف أمرهم، وهو أن مثل المنافقين وحالهم في إظهار الإسلام زمنا قليلا، كحال من أوقدوا نارا لينتفعوا بها، فلما أضاءت ما حولهم من الأمكنة والأشياء وأبصروا زمنا يسيرا، أطفأها الله بمطر أو ريح، فصيرهم لا يبصرون شيئا، وتركهم في ظلمات لأن النور قد زال (الزحيلي، التفسير المنير).

والمثل الثاني لحيرتهم وقلقهم وانتهازيتهم، وهو أن القرآن الكريم قد أتاهم بالإرشادات الإلهية، ولكنهم أعرضوا عنها، فحالهم تشبه حال قوم نزل بهم مطر غزير مصحوب بالظلمات والرعد والبرق، وفي هذا الجو القاتم تلمسوا سبيل النجاة في ما لاح لهم من نور، فعزموا على اتباع الحق الذي جاءت به الآيات البينات، ثم ما لبثوا أن وقعوا في الظلام، فأصابهم القلق والاضطراب (الزحيلي، التفسير المنير).

وجاء في تفسير المراغي . رحمه الله . أن الله تعالى ضرب مثل المنافقين، فصور حالهم حين أسلموا أولا ودخل نور الإيمان في قلوبهم، ثم داخلهم الشك فكفروا به إذ لم يدركوا فضائله، فصاروا لا يبصرون مسلكا من مسالك الهداية، وقد أضاء النور قلوب من حولهم من المؤمنين، بحال جماعة أوقدوا نارا لينتفعوا بها فلما أضاءت ما حولهم من الأشياء والأماكن جاءها عارض فبددها فأصبحوا في ظلام دامس (المراغي، 1946). وهذا الكلام عن المثل الأول، ثم يتابع الحديث عن المثل الثاني، وهو مثل آخر يشرح الله به حال المنافقين وقد أتتهم الإرشادات الإلهية، فأصابهم القلق والاضطراب، ثم استبان لهم أثناء ذلك قبس من النور يلمع في أنفسهم حين تلوح لهم الآيات والحجج فيعزمون على اتباعه ويسيرون في نوره خطوات ولكن لا يلبثون حتى يعودوا إلى ظلمات الحيرة والاضطراب، فحالهم كحال قوم في إحدى الفلوات نزل بهم ليلا صيب من السماء فيه رعود وبروق وصواعق، فتولاهم الخوف والرعب (المراغي، تفسير المراغي).

هذان مثلان ضربهما القرآن الكريم للمنافقين، الذين كانوا يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر، وهما مثلان يشرحان عن طريق التمثيل والتقريب حالة القلق والاضطراب النفسي التي يعيشها المنافقون، فهم ليسوا مؤمنين قد اطمأنوا بالإيمان واستناروا بنوره واهتدوا بهداه، فتستريح نفوسهم من قلقها وحيرتها واضطرابها، كما أنهم ليسوا في ظاهرهم مع الكفار الذين أظلم الكفر قلوبهم وطمس بصائرهم، ولكنهم بين هؤلاء

وهؤلاء، يعيشون وسط المؤمنين ويستمعون للآيات البينات التي تتلى عليهم، ويقبسون من نورها قليلا، ولكن ذلك لا يطول فيعودون لما كانوا عليه من ظلمة الكفر والحيرة والقلق.

والخطاب في المثلين معا موجه إلى المجتمع المسلم الذي ظهرت فيه هذه الفئة، فئة المنافقين، والمقصود من الخطاب إقامة الحجة وإقناع المخاطبين بفساد خطة النفاق، فهو خطاب حجاجي جاء في صورة تمثيل، والمقصود به إقناع المخاطبين بعدم جدوى هذا السبيل، فالمنافق الذي ظن أنه يحمي نفسه بالنفاق ويظل على معتقده الباطل، قد أدخله سلوكه هذا في دوامة من القلق والاضطراب، فالخطاب يقول للمنافق ماذا جنيت من هذا الطريق؟ لقد سلكت هذا المسلك ترغب في الأمان وراحة النفس، ولكنك لم تسترح ولم تطمئن، بل أصبحت بنفاقك تعيش في قلق دائم وحيرة متصلة لا تنتهي، فهل ظفرت بما أردت الحصول عليه؟ فإذا كان كل ساع في هذه الدنيا يطلب ما يريح نفسه ويمنحها الأمان، فالمنافق قد سعى إلى أمان وهمي وراحة خادعة، وأتعب نفسها من حيث ظن أنه يريحها.

إن هذا الخطاب الحجاجي يتوجه إلى المؤمنين كما يتوجه إلى المنافقين، فهو يتوجه إلى المؤمنين ليكون لهم في حججه التي يقدمها عظات بالغة، ويتوجه إلى المنافقين المترددين في حيرتهم لعلهم يقتنعون فيستقيموا على جادة الطريق. فالخطاب يقوم على إبطال المقدمات ببيان بطلان الخواتيم، فحين تكون النتائج فاسدة فإنها حتما تدل على بطلان مقدماتها. والمقدمة التي وقع إبطالها بإبطال نتائجها هي النفاق نفسه، فالمنافق قد اتخذ من النفاق سبيلا ظن أنه يوصله لمبتغاه من السعادة والاستقرار والأمان، ولكن نفاقه لم يوصله إلى شيء من هذا وإنما أوصله إلى عكسه وخلافه، أوصله إلى القلق والحيرة والتردد والاضطراب وعدم الاستقرار، فالمقدمة هنا هي النفاق، أما نتائجها التي كان المنافق يرتجيها فهي الراحة النفسية والسعادة والأمان، وأما نتائجها الواقعية فهي الوقوع في ظلمات الحيرة والتردد والقلق والاضطراب، وهذا الفساد الحاصل في النتائج دال بلا ريب على فساد المقدمة، مما ينسحب على خطة النفاق كلها، فهي خطة فاسدة لا تصلح للحياة في الدنيا كما أنها لا تصلح سبيلا للنجاة في الآخرة. إن المقصدية الإقناعية للخطاب تستهدف فئة المؤمنين بالبيان التحذيري، وتستهدف فئة المنافقين بالبيان العواقبي، ففي الخطاب تخويف للمؤمنين حيث كشف لهم حالة المنافقين التعيسة حتى لا يغتر بعض الضعاف بما يرون من ظاهر خادع، وفي الخطاب أيضا تنبيه لمدارك بعض المنافقين الذين قد يظنون أنهم في راحة نفسية وهم يعانون ما يعانيه المحروم من أمان الإيمان وإن كانوا لا يشعرون.

كما يوجد في المثلين ما يمكن أن نسميه الإقناع بالنتائج العكسية، وهذا يتضح من حال المنافق مثل له بحال الذي رام نورا من خلال النار والبرق، ولكن النتيجة كانت ظلمات، وقد تم تشبيه الإيمان وما يصحبه من أمان نفسي بالنور، وتم تشبيه الكفر وما يصحبه من قلق وحيرة بالظلمات، وقد علل الفخر

الرازي هذا التشبيه فقال: "والوجه فيه أن النور قد بلغ النهاية في كونه هاديا إلى المحجة وإلى طريق المنفعة وإزالة الحيرة وهذا حال الإيمان في باب الدين، فشبه ما هو النهاية في إزالة الحيرة ووجدان المنفعة في باب الدين بما هو الغاية في باب الدنيا، وكذلك القول في تشبيه الكفر بالظلمة، لأن الضال عن الطريق المحتاج إلى سلوكه لا يرد عليه من أسباب الحرمان والتحير أعظم من الظلمة، ولا شيء كذلك في باب الدين أعظم من الكفر، فشبه تعالى أحدهما بالآخر" (الرازي، 1981). فالمنافق رام بنفاقه أن يدرك الأمن والأمان والسعادة والراحة النفسية وهذا كله مثل له بالنور الذي يطلب من النار والبرق، ولكنه لم يدرك طلبته حيث وقع في ظلمات الحيرة والتردد والقلق النفسي، فكانت النتائج عكسية، وهو برهان على عدم جدوى النفاق وعدم منفعته لصاحبه في الدنيا والآخرة.

إن الإقناع في هذين المثلين ينبني على بيان الحال وبيان العاقبة، وفي هذا إظهار لحقيقة أمر ما قد يلتبس على بعض الضعاف فيغترون به وهذا الأمر هو النفاق، فقد يظن البعض أن النفاق حل يأمن به صاحبه حين يدخل ظاهريا في أمر لم يؤمن به قلبه، في حين أن المنافق يعيش في قلق وحيرة واضطراب، فلا أمن ولا أمان، وفيه أيضا بيان لعاقبة النفاق وما يجره على المنافق من شقاء وحيرة في الدنيا وخسارة فادحة في الآخرة، وفي كلٌّ تحذير للغافلين من مغبة سلوك هذا الطريق.

6 ـ 2 ـ مثل الحياة الدنيا:

كثيرا ما يغتر الناس بالحياة الدنيا، وذلك راجع لعدم التفكر السليم في قيمتها الحقيقية، وقد يكون راجعا لكونها هي نفسها تدفع بزينتها إلى الاغترار بها كما قال تعالى: ﴿**وَما الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُور**﴾ [آل عمران:185]، والاغترار بالدنيا يجعل الإنسان ينسى الآخرة، والآخرة أهم للإنسان من الدنيا لأن الآخرة هي الدار الباقية بينما الدنيا دار فانية، كما قال تعالى: ﴿ **وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى** ﴾ [الأعلى:17]، ومن أجل بيان قيمة الدنيا وإقناع المخاطبين بحقارتها ضرب الله تعالى لها المثل في القرآن الكريم فقال الله تعالى: ﴿**إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاء أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاء فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ حَتَّىَ إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ [يونس:24].

كثر في القرآن الكريم ضرب المثل للحياة الدنيا بالماء ينزل من السماء فتخضر به الأرض، وتأخذ زينتها وبهجتها، ثم يؤول أمر خضرتها وزينتها إلى يباس وحطام، قال ابن كثير. رحمه الله . : " وقد ضرب الله مثل الحياة الدنيا بنبات الأرض في غير ما آية من كتابه العزيز؛ فقال في سورة الكهف: ﴿ **وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاء أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاء فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ**

وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾ [الكهف: 45]. وكذا في سورة الزمر والحديد، يضرب الله بذلك مثل الحياة الدنيا كماء" (ابن كثير، 2000) (ابن كثير، تفسير ابن كثير).

ففي هذه الآية ضرب الله تعالى "مثلا لزهرة الحياة الدنيا وزينتها، وسرعة انقضائها وزوالها، بالنبات الذي أخرجه الله من الأرض بما أنزل من السماء من الماء، مما يأكل الناس من زروع وثمار، على اختلاف أنواعها وأصنافها، ومما تأكل الأنعام من أب وقضب وغير ذلك" (ابن كثير، تفسير ابن كثير)، حتى إذا تزينت الأرض وحسنت بما نبت فيها من زهور نضرة مختلفة الأشكال والألوان، وظن أهلها الذين غرسوها وزرعوها أنهم قادرون على حصادا وجني ثمارها، فبينما هم كذلك إذ جاءتها صاعقة أو ريح شديدة باردة، فأيبست أوراقها، وأتلفت ثمارها، فصارت يابسة بعد الخضرة والنضرة، كأنها ما كانت حسناء من قب (ابن كثير، تفسير ابن كثير، 2000). ثم يقول الله تعالى معقبا على ذلك: ﴿ **كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾ [يونس:24]، أي نبين الحجج والأدلة لقوم يتفكرون فيعتبرون بهذا المثل في زوال الدنيا عن أهلها سريعا، مع اغترارهم بها وتمكنهم وثقتهم بمواعيدها (ابن كثير، تفسير ابن كثير، 2000).

وجاء في تفسير الخازن عند تفسير قوله تعالى: ﴿ **كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾ " يعني: كما بينا لكم مثل الحياة الدنيا وعرفناكم حكمها، كذلك نبين حججنا وأدلتنا لمن تفكر واعتبر ليكون ذلك سببا موجبا لزوال الشك والشبهة من القلوب" (الخازن، 2004).

لقد عقب الله تعالى على هذا المثل بتفصيل الآيات لمن يتفكر ويتدبر، والآيات هنا، كما مر في التفسيرين السابقين، هي الحجج والأدلة والبراهين، فالمثل المضروب هو حجة وبرهان لإقناع المخاطبين. والخطاب في المثل موجه لعموم الناس، وفيه طرح لقضية هامة تتعلق بوجود الإنسان على الأرض وبمصيره بعد مماته، فإن الغالب على بني الإنسان التعلق بالحياة الدنيا، فمنهم من لا يؤمن بحياة أخرى بعد هذه الحياة، ومنهم من يؤمن بتلك الحياة الثانية ولكن قلبه معلق بالدنيا، وهذا المثل يقدم الحجج والبراهين العقلية على أن هذه الدنيا سريعة الزوال، فلا يليق بعاقل أن يجعلها معقد آماله ومبلغ ما يصل إليه من العلم، ولكن عليه أن ينتفع منها بما يستطيع من الانتفاع رابطا نفسه ومعلقا قلبه بحياة أخرى أهم، وقد جاء المثل بشكل تصويري فني، فهو يرسم لوحة فنية تظهر فيه الحياة الدنيا وهي تنتقل من طور إلى طور حتى تؤول إلى الفناء، فبداية الأمر ينزل المطر من السماء، فيختلط بما في الأرض من نبات مما يأكله الإنسان أو مما يأكله الحيوان، ثم تخضر الأرض بذلك النبات المزدهر وتصبح زاهية الألوان بالزهور والثمار والخضرة تسر الناظرين، وهي كذلك في زينتها إذ حل بها أمر من جائحة أو إعصار أو مطر متلف، فصارت هشيما بعد الخضرة والنضرة؛ ثم تعود دورة الحياة في فصل جديد باخضرار جديد، جاء في تفسير الخازن . رحمه الله . متحدثا عن وجه التمثيل في هذا المثل فقال:" ووجه التمثيل، أن غاية

هذه الحياة الدنيا التي ينتفع بها المرء كناية عن هذا النبات الذي لما عظم الرجاء في الانتفاع به وقع اليأس منه، ولأن المتمسك بالدنيا إذا نال منها بغيته أتاه الموت بغتة فسلبه ما هو فيه نعيم الدنيا ولذاتها. وقيل: يحتمل أن يكون ضرب هذا المثل لمن ينكر المعاد والبعث بعد الموت لأن الزرع إذا انتهى وتكامل في الحسن إلى الغاية القصوى أتته آفة فتلف بالكلية. ثم إن الله سبحانه وتعالى قادر على إعادته كما كان أول مرة فضرب الله سبحانه وتعالى هذا المثل ليدل على أن من قدر على إعادة ذلك النبات بعد التلف كان قادرا على إعادة الأموات أحياء في الآخرة ليجازيهم على أعمالهم" (الخازن، 2004). وعلى هذا يكون الخطاب حاملا لقضيتين يريد إقناع المخاطبين بهما:

فالقضية الأولى التي يريد الخطاب إقناع المخاطبين بها، وإقامة الحجج عليها، تتمثل في بيان القيمة الحقيقية للدنيا التي أذاب كثير من بني آدم أعمارهم في السعي من أجل زهرتها وزينتها، معتقدين دوامها واستمرارها وقدرتهم على التمتع بها والتمكن من نعيمها، وقد استدل الخطاب الكريم على حقيقة الدنيا بضرب المثل مما يراه الناس ويشاهدونه بأعينهم، ومما هو قريب مدرك بالحواس، وهو النبات ينمو ويزهو ويخضر، وعندما يظن أصحابه أنهم قادرون على جنيه وحصاده والانتفاع به، إذا أمر ما يداهمه فيتسبب في إتلافه فكأنه لم يكن.

والقضية الثانية التي يريد الخطاب الإقناع بها، وإقامة الحجج والبراهين عليها، هي قضية المعاد التي ينكرها صنف من الناس، إذ يعتقدون أن الحياة هي الحياة الدنيا وحدها، ولا حياة أخرى بعدها، فيسوق القرآن الكريم هذا المثل ليبين لهؤلاء من خلال دورة الحياة كيف يعيد الله تعالى الحياة إلى الأرض بعد موتها، والذي يحيي الأرض بعد موتها بتدبير خاص قادر بتدبير آخر أن يعيد الأموات أحياء، فالذي يقدر على هذا يقدر على ذلك.

6 ـ 3 ـ مثل إنفاق المال في سبيل الله وانفاقه رياء:

إن إنفاق المال قد يكون من الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله تعالى وابتغاء مرضاته، وقد يكون ممن ينفقونه رياء الناس ولكل فريق ضرب الله المثل في القرآن الكريم. يقول الله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُبْطِلُواْ صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأذَى كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاء النَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لاَّ يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ وَاللهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ * وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ** ﴾ [البقرة:264 . 265].

في هاتين الآيتين وصف الله تعالى نوعين من الإنفاق أحدهما الذي يتبعه المن والأذى، والثاني الذي لا يتبعه المن والأذى، فشرح حال كل واحد منهما، وضرب مثلا لكل منهما (الرازي، التفسير الكبير). فالله تعالى ينهى عباده المؤمنين عن إفساد أجور صدقاتهم بالمن على المحتاجين وإذايتهم كالمرائي الذي ينفق ماله رياء الناس، قال الخازن:" أي كإبطال الذي ﴿ **يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاء النَّاسِ** ﴾ أي مراءاة لهم وسمعة ليروا نفقته ويقولوا : إنه سخي كريم ﴿ **وَلاَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ** ﴾ يعني أن الرياء يبطل الصدقة ولا تكون النفقة مع الرياء من فعل المؤمنين لكن من فعل المنافقين" (الخازن، تفسير الخازن). إن من يتبع صدقته بالمن والأذى يشبه حاله حال من ينفق ماله رياء وسمعة، لأجل أن يحمده الناس، لا لابتغاء مرضاة الله، وهذا المرائي في الواقع لا يؤمن بالله واليوم الآخر إيمانا صحيحا، حتى يرجو ثوابا أو يخشى عقابا، ومثله الذي يمن ويؤذي السائل (الزحيلي، التفسير المنير). ومثل عمل كل من المرائي بصدقته والذي يمن بها، كمثل تراب على حجر أملس، نزل عليه مطر شديد، فأزال التراب وترك الحجر أملس لا شيء عليه، أي لا ثمرة ولا بقاء لعمله، وإنما يضمحل ويتبدد بالظواهر الطارئة، ولا ينتفع بشيء مما فعل لا في الدنيا ولا في الآخرة (الزحيلي، التفسير المنير).

وقد ضرب الله المثل للمرائي بالصدقة والمنان بها بالصفوان، وهو الحجر الأملس يكون عليه تراب ظاهر للعيان، فيظن من يراه أنه أرض خصبة ستنتج ثمارا ينتفع بها، وإنما تحتاج هذه الأرض ، كما يبدو، لبعض الماء الذي تكون منه الحياة، ولكن الماء حينما ينزل على هذا التراب يزيله من أصله عوض أن ينبته، وبذلك يترك الصفوان صلدا أجرد ليس عليه شيء، فلا تراب ولا نبات ولا ثمار، فالمثل المضروب مقصود به إقناع المخاطبين بعدم جدوى الإنفاق الذي يصحبه المن والأذى، كما لا يجدي الإنفاق الذي يكون دافعه الرياء والسمعة، فلا فائدة ترجى من هذا ولا ذاك، كما لا يرجى خير من أرض صخرية فوقها تراب لا يلبث أن يزول مع نزول الماء، فلا تنبت هذه الأرض زرعا ولا غرسا، والعهد بالماء أنه ينبت الأرض التي ينزل فيها، ولكن أرض الرياء والمن والأذى لا ينبتها حتى الماء فلا خير فيها إطلاقا. هذا عن المثل الأول الذي ضرب لمن ينفق ماله بالمن والأذى ورياء الناس. أما المثل الثاني فقد ضرب لمن ينفق ماله يبتغي بذلك وجه الله سبحانه وتعالى، وفي هذا الصنف من الناس يقول الله عز وجل: ﴿ **وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾، إن الحديث هنا عن نوع آخر من الناس غير النوع الأول الذي ينفق ماله رياء ويبطل صدقاته بالمن والأذى، فالحديث هنا عن المؤمنين المخبتين الذين يبتغون مرضاة الله سبحانه، إنهم أولئك الذين " يخرجون زكاة أموالهم، وينفقون

أموالهم في سائر وجوه البر والطاعات طيبة أنفسهم بما أنفقوا على يقين بثواب الله وتصديق بوعده " (الخازن ، تفسير الخازن).

فيضرب المثل لهؤلاء المنفقين أموالهم ابتغاء مرضات الله تعالى، فمثلهم " كبستان جيد التربة، ملتف الأشجار، خصب النبات، وهو بمكان مرتفع متمتع بالشمس والهواء، ينزل عليه المطر الغزير، فيثمر ضعفي غلته، وإذا نزل عليه مطر خفيف أثمر أيضا لجودة تربته وكرم منبته، وحسن موقعه " (الزحيلي، التفسير المنير). والمعنى المقصود في هذا المثل أن من ينفق ابتغاء مرضاة الله تعالى يجود بقدر سعته، فإن أصابه خير كثير أنفق كثيرا، وإن أصابه قليل أنفق بقدر طاقته، فهو محسن في كلا الحالين، ويجد ثمرة بذله على كل حال، فهو كالأرض الطيبة ذات التربة الخصبة، تثمر وتغل الخير ونتاجها وفير دائما سواء أصابها مطر كثير أو قليل (الزحيلي، التفسير المنير).

والخطاب في المثل الأول والثاني موجه لإقناع المخاطبين من المؤمنين بضرورة الحذر من الرياء والمن والأذى عندما يتصدقون، لأن الرياء والمن والأذى يذهب بالأجر، فلا يستفيد المنفق من وراء ذلك شيئا، فيخسر بضياع ماله الذي أنفقه، ويخسر بذهاب أجره لأنه أبطله بالمن والأذى والرياء. وفي المقابل يسعى الخطاب إلى إقناع المخاطبين بضرورة الإخلاص لله تعالى في إنفاق المال لأن ذلك يبارك في الصدقات ويجعل أجرها مضاعفا. ولقد أسس الإقناع على تشبيه حال من ينفق رياء ومنا وأذى بحال الصخر الأملس الذي يعلوه تراب، فيظن من يراه أنه أرض خصبة منبتة، وأنه لا ينقصها إلا الماء لكي تنبت وتزدهر، ولكن الماء يأتي فيخلف ما ظنه الرائي، وإذا الماء الذي هو سبب الحياة يتحول إلى سبب إهلاك، ومثله الصدقة التي هي سبب نجاة وفوز، لكنها حين يصحبها الرياء والمن والأذى تصبح سبب خسارة في الدارين. وفي المثل الثاني وقع التشبيه بين من ينفق مخلصا لله تعالى يبتغي رضوان ربه، والجنة التي تكون بمرتفع من الأرض، تربتها طيبة خصبة، إذا أصابها وابل من غيث تضاعف نتاجها، وإن لم يصبها وابل الغيث كفاها القليل من المطر لتنتج وتثمر، وفي هذا إقناع لمن له بصيرة وعلم بعواقب الأمور ومن لا يغتر بظواهرها وما يبدو للناظرين منها.

6 ـ 4 ـ مثل من يتخذ من دون الله أولياء:

يعد الإشراك بالله تعالى أهم القضايا التي تناولها القرآن الكريم، فقد تناولها من كل الجوانب باعتبارها نقيض التوحيد الذي هو أعظم حق لله تعالى على عباده، ومن جملة الطرق التي عالجها بها ضرب الأمثال، ومنها قوله تعالى: ﴿ **مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاء كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ** ﴾ [العنكبوت:41].

قال ابن جزي . رحمه الله . : " شبه الله الكافرين في عبادتهم للأصنام بالعنكبوت في بنائها بيتا ضعيفا، فكان ما اعتمدت عليه العنكبوت في بيتها ليس بشيء فكذلك ما اعتمدت عليه الكفار من آلهتهم ليس بشيء لأنهم لا ينفعون ولا يضرون " (الكلبي، 1995)، لقد تنبه ابن جزي . رحمه الله . إلى الجانب الإقناعي من الخطاب، والمتمثل في التشبيه المنعقد بين عبادة الكافرين للأصنام وبين بناء العنكبوت بيتا ضعيفا، فكلاهما ليس بشيء، كما قال، ووجه الإقناع بمضمون المثل أن المخاطبين يدركون ضعف بيت العنكبوت، لكن بعضهم قد لا يدرك ضعف عبادة الأصنام، فجيء بالمثل للتقريب بين الاثنين.

وقال ابن كثير . رحمه الله . : " هذا مثل ضربه الله تعالى للمشركين في اتخاذهم آلهة من دون الله، يرجون نصرهم ورزقهم، ويتمسكون بهم في الشدائد، فهم في ذلك كبيت العنكبوت في ضعفه ووهنه، فليس في أيدي هؤلاء من آلهتهم إلا كمن يتمسك ببيت العنكبوت فإنه لا يجدي عنه شيئا، فلو علموا هذا الحال لما اتخذوا من دون الله أولياء " (ابن كثير، تفسير ابن كثير).

وقال الألوسي . رحمه الله . : " لو كانوا يعلمون وهن الأوثان لما اتخذوها أولياء من دون الله تعالى " (الألوسي). وإنما ضرب هذا المثل لكي يعلموا أن عبادتهم للأصنام تشبه في الوهن والضعف بيت العنكبوت، فإذا علموا فقد وقع إقناعهم بمضمون الخطاب. فالمثل جيء به للإقناع فهو يمثل حجة دامغة، ولكن مثل هذه الحجة إنما ينتفع بها أصحاب العقول، الذين يفهمون كنه الأشياء، وتلك معبودات العرب التي كانوا يعبدونها من دون الله ماذا كانت تغني عن عابديها؟ هل كانت تسمعهم حين يدعونها؟ هل كانت تنفعهم أو تضرهم؟ حجارة نحتوها بأيديهم وقد كانت مرمية قبل ذلك في طريق الناس والحيوانات، فماذا ستجدي عن عبادها؟ لكنه العقل البشري حين ينحط في دركات الجهل ودهاليز الخرافة، والقرآن الكريم يقدم الحجج مخاطبا العقول، ولهذا قال بعد هذا المثل: ﴿ **وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ** ﴾ [العنكبوت:43]. فالفائدة الملموسة من ضرب الأمثال القرآنية هي تقريب الأشياء لأفهام الناس، ولكن لا يعقل معناها إلا أهل العلم المتجردون من العصبية والتقليد (الزحيلي، التفسير الوسيط، 2001).

6 ـ 5 ـ مثل القرية التي كفرت بأنعم الله:

في هذا المثل ذكر الله للعبرة، صفة قرية كانت آمنة من العدو لا يزعجها خوف، يأتيها رزقها وافرا سهلا واسعا من سائر البلاد، فكفر أهلها بنعم الله وجحدوا بها، فعمهم الله بالجوع والخوف، وبدلهم بالأمن خوفا، وبالغنى جوعا وفقرا، وبالسرور ألما وحزنا، وذاقوا مرارة العيش بسبب أفعالهم المنكرة. (الزحيلي ، التفسير المنير)

والمثل قد يضرب بشيء موصوف بصفة معينة سواء كان ذلك الشيء موجودا أو غير موجود؛ فهذه القرية يحتمل أن تكون شيئا مفروضا، ويحتمل أن تكون قرية معينة، وعلى التقدير الثاني يحتمل أن تكون تلك القرية مكة وعلى هذا أكثر المفسرين، والأقرب أنها غير مكة لأنها ضربت مثلا لمكة، ومثل مكة لا يكون هو مكة (الرازي، التفسير الكبير). وسواء كانت القرية مكة أو غيرها فالمثل مضروب في أهل قرية كانوا في رغد العيش ثم بدلوا به عيشا نكدا بسبب صنائعهم، يقول الله تعالى: ﴿ **وَضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللّهِ فَأَذَاقَهَا اللّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ * وَلَقَدْ جَاءهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ** ﴾ [النحل: 112 . 113]. إن هذه القرية ضربت مثلا خوطب به أهل مكة الذين كانوا يتمتعون بالأمن النفسي والأمن الاجتماعي كما قال الله تعالى في سورة قريش: ﴿ **لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ * إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاء وَالصَّيْفِ * فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ** ﴾ [قريش: 1 . 4]، وإنما ضرب هذا المثل لإقناعهم بخطورة ما هم عليه من كفران النعم وتكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم، فالنعم والأمن لا يستمر مع جحود النعم، هذا هو الأمر المراد من ضرب المثل، وأن عاقبة الظلم ذهاب النعم كما قال تعالى: ﴿ **فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ** ﴾[النساء: 160] ، إن الخطاب مسوق للإقناع، وقد اتخذ من ضرب المثل وسيلة، فأهل مكة كانوا يتمتعون بنعمة الأمن ورغد العيش، ورغم ذلك كفروا بنعم الله تعالى، وأهل القرية في المثل المضروب كانوا يتمتعون بالأمن ورغد العيش أيضا، ورغم ذلك كفروا بنعم الله تعالى، فكانت النتيجة أن الله تعالى سلبهم تلك النعم، فأهل مكة مخاطبون بهذا الخطاب ليأخذوا العبرة مما حدث لأهل تلك القرية، فيرتدعوا عن كفرهم ويرجعوا إلى الحق ويتبعوا الرسول صلى الله عليه وسلم. وكما خوطب بهذا المثل أهل مكة، فعموم المخاطبين معنيون بهذا الخطاب، فهو خطاب عام يعم جميع المخاطبين أفرادا وجماعات، وهو يحمل تحذيرا من الكفر والظلم والمعاصي وعدم الشكر على النعم، ويبين أن كل هذا عاقبته ذهاب النعم وحلول النقم.

7 ـ الخاتمة:

للقرآن الكريم منهج واضح بين وجلي في مخاطبة العقول بالحكمة والحجة والدليل والبرهان، فبعيدا عن مصادرة حق الفرد في التفكير واتخاذ القرار الذي يرتضيه لنفسه، وبعيدا عن القسر والإكراه والإلزام، ينحو القرآن الكريم منحى الإقناع والإفهام والحوار والجدال بالتي هي أحسن، ويبقى بعد ذلك الخيار واسعا للمخاطب في أن يستجيب لدعوة القرآن الحكيمة أو يتخذ طريقا مغايرا، وقد تناولت في هذه الورقة البحثية جانبا من جوانب الإقناع اللغوي في القرآن الكريم، وهو الإقناع بالمثل، وقد اخترت خمسة نماذج تناولتها

بالدراسة، وأوضحت كيف يتم توظيف المثل في القرآن الكريم لأجل الإقناع في المخاطبين، وفي ختام هذه الورقة خلصت إلى جملة من النتائج هي:

1 . القرآن الكريم كتاب يخاطب العقل البشري، ويدعوه إلى النظر والتأمل والتدبر، ويحرك فيه نوازع البحث والاستقصاء، ويحثه على الاحتكام لمنطق الدليل والبرهان، بعيدا عن التقليد والتعصب والهوى، فالإنسان إنما تتحقق إنسانيته بكمال عقله ونضجه وإدراكه، فإن لم يكن كذلك، لم يكن بينه وبين البهائم العجموات فرق.

2 . القرآن الكريم يخاطب العقل البشري، بغية الإقناع بالدليل والحجة والبرهان، بعيدا عن القسر والإكراه لأنه لا إكراه في المعتقد، ولا يمكن أن يكره إنسان على تغيير معتقده، وكل من يقع عليه نوع من الإكراه فقد يظهر الاستجابة ولكن قلبه على غير ذلك، وهذا ما لا يريده الله لعباده، وعليه كان منهج القرآن واضحا في اتخاذ الإقناع طريقا لنشر تعاليمه بعيد عن القسر والإكراه.

3 . يعتمد القرآن الكريم وسائل مختلفة لتحقيق الإقناع والوصول إلى التأثير في المخاطبين، ومن الوسائل المتخذة لذلك الوسائل اللغوية، ومنها المثل، وقد ضرب الله الأمثال في القرآن ليعقلها ذوو البصائر النيرة، ويفهمها ذوو القرائح الصافية، ويتعظ بها العلماء الذين تجردوا من قيود الهوى والتقليد الأعمى، واحتكموا إلى منطق العقل والحكمة، وقد تنوعت أمثال القرآن الكريم، وتناولت مواضيع مختلفة، فتارة تحدث عن الدنيا مبينة قيمتها الحقيقية، وتارة أخرى تحدثت عن الإنفاق، وأيه الذي يكون مقبولا عند الله تعالى، وطورا تناولت قضية التوحيد والشرك وبينت وهن العبادات الشركية، كما تحدثت عن حال المنافقين وضربت لهم المثال، إلى غير ذلك من الأمثال القرآنية، وهي كثيرة، غير أننا اكتفينا بخمسة نماذج لمواضيع مختلفة، وما صدق على هذه يصدق على غيرها، فالأمثال القرآنية مسوقة لإقناع المخاطبين بمضامينها.

7 ـ قائمة المراجع:

1. أحمد بن فارس. (1979). معجم *مقاييس اللغة*. دار الفكر.
2. أحمد مصطفى المراغي. (1946). *تفسير المراغي* (المجلد 1). مصر: شركة مصطفى البابي الحلبي وأولاده.
3. اسماعيل ابن كثير. (2000). *تفسير ابن كثير* (المجلد 1). مصر: مؤسسة قرطبة.
4. الأصفهاني الراغب. (بلا تاريخ). *المفردات في غريب القرآن*. مكتبة مصطفى البار.
5. الحسين بن الفضل. (1992). *الأمثال الكامنة في القرآن الكريم* (المجلد 1). السعودية: مكتبة التوبة.
6. العمادي أبو السعود. (بلا تاريخ). *تفسير أبي السعود*. مصر: دار إحياء التراث العربي.
7. أنطوان وحيد نعيم. (2010). *فن الخطابة والإلقاء*. لبنان: دار الكتاب العربي.
8. باتريك شلرودو، و دومينيك منغنو. (2008). معجم *تحليل الخطاب*. (عبد القادر المهيري – حمادي صمود، المترجمون) تونس: دار سيناترا.
9. بدر الدين الزركشي. (2006). *البرهان في علوم القرآن*. مصر: دار الحديث.
10. جبور عبد النور. (1984). *المعجم الأدبي* (المجلد 2). لبنان: دار العلم للملايين.
11. شهاب الدين الألوسي. (بلا تاريخ). *روح المعاني*. لبنان: دار إحياء التراث العربي.
12. عبد الرحمان حسن حبنكة الميداني. (1980). *الأمثال القرآنية دراسة وتحليل* (المجلد 1). سورية: دار القلم.
13. عبد الرحمان حسن حبنكة الميداني. (1992). *أمثال القرآن وصور من أدبه الرفيع* (المجلد 3). سورية: دار القلم.
14. عبد الهادي بن ظافر الشهري. (2004). *استراتيجيات الخطاب* (المجلد 1). لبنان: دار الكتاب الجديد المتحدة.
15. علاء الدين الخازن. (2004). *تفسير الخازن* (المجلد 1). لبنان: دار الكتب العلمية.
16. علي رزق. (1994). *نظريات في أساليب الإقناع* (المجلد 1). لبنان: دار الصفوة.
17. عيسى العاكوب. (2000). *المفصل في علوم البلاغة العربية*. سوريا: مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية.
18. عيسى العوفي، و عبد الرحمان علوي. (2010). *القاموس تاعربيالأول لمصطلحات علوم التفكير* (المجلد 1). الأردن: دار ديبونو.
19. فخر الدين الرازي. (1981). *التفسير الكبير* (المجلد 1). دار الفكر.
20. مجدي وهبة، و كامل المهندس. (1984). معجم *المصطلحات العربية في اللغة والأدب* (المجلد 2). لبنان: مكتبة لبنان.

21. مجمع اللغة العربية بالقاهرة. (2004). *المعجم الوسيط* (المجلد 4). مصر: مكتبة الشروق الدولية.

22. محمد أبو زهرة. (1934). *الخطابة* (المجلد 1). مصر: مطبعة العلوم.

23. محمد أبو زهرة. (بلا تاريخ). *زهرة التفاسير*. مصر: دار الفكر العربي.

24. محمد الطاهر بن عاشور. (1984). *تفسير التحرير والتنوير*. تونس: الدار التونسية للنشر.

25. محمد العمري. (2002). *في بلاغة الخطاب الإقناعي* (المجلد 3). لبنان: دار إفريقيا الشرق.

26. محمد بن جزي الكلبي. (1995). *التسهيل لعلوم التنزيل* (المجلد 1). لبنان: دار الكتب العلمية.

27. محمد بن علي الشوكاني. (2007). *فتح القدير* (المجلد 4). لبنان: دار المعرفة.

28. محمد بن مكرم بن منظور. (بلا تاريخ). *لسان العرب*. مصر: دار المعارف.

29. محمد جمال الدين القاسمي. (1957). *محاسن التأويل* (المجلد 1). مصر: دار إحياء الكتب العربية.

30. محمود بن الشريف. (بلا تاريخ). *الأمثال في القرآن*. السعودية: دار عكاظ.

31. معتصم بابكر مصطفى. (2003). *من أساليب الإقناع في القرآن الكريم*. قطر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.

32. وهبة الزحيلي. (2001). *التفسير الوسيط* (المجلد 1). سورية: دار الفكر.

33. وهبة الزحيلي. (2009). *التفسير المنير* (المجلد 10). سورية: دار الفكر.